ملاحظات عابرة

صحافة عابثة — نساء فارغات — بنات مدللات

(١)

فى مصر قليل من المجلات الجادة وكثير من المجلات العابثة وتلق هذه من الرواج والانتشار أضعاف ما تجده تلك . فعلام يدل هذا ؟

إنه يدل على أمرين : أما أولهما فوجود جمهور عابث يسعى وراء التسلية أكثر مما يسعى وراء الاستفادة ولا يجد فى نفسه إلا الهزل الرخيص ولا فى حياته الا الوقت الفارغ الذى يملؤه أو يقتله بهذا الهزل الرخيص . وأما ثانيهما فهو أن المجلات الجادة لاتعرف كيف تجتذب اليها هذا الجمهور بلباقة العرض وحرارة الموضوعات فتتركه فريسة للعبث السخيف الذى تطفح به المجلات الهازلة وكلا الأمرين فى حاجة الى العلاج .

ونحن لا نطمع أن تغير الصحافة العابثة مسلكها الذى تجد فيه الربح من كل جانب : فالذين يقومون على تلك الصحف تجار و بوهيميون مستهترون . وخطتهم فى صحافتهم تحقق لهم كل أغراضهم فى الحياة ، هذه الأغراض هى الربح المادى والشهرة لدى الجماهير ، وقضاء غايات فى أوساط خاصة .

وهم يحققون هذا كله حينما يتناولون فى صحفهم أقذر الموضوعات و ينشرون أقبح الصور وأحط النكات والفكاهات و يكثرون من عرض الأسرار الخاصة والمخبآت العائلية فيغذون فضول الجماهير وغرائزها الحيوانية و يجتذبون أكبر عدد من القراء لأن الغريزة هى أعمق ما فى الإنسان وقد تعب المجتمع والأديان والآداب فى تهذيب هذه الغريزة فإذا جاء فرد أو صحيفة ليطلق لهذه الغريزة العنان أقبل عليه الناس بلا مراء .

وهذه حقيقة لاتحتاج الى مهارة صحفية فى كشفها ، والغريزة الحيوانية لاتحتاج فى إثارتها إلى المهارة الصحفية ، فهناك كثيرون ليسوا صحفيين مهرة ومع ذلك يعرفون كيف يثيرون هذه الغريزة وكيف ينتفعون من إثارتها . فيحصلون على المال و يرضون ما فى نفوسهم من غايات من أرخص طريق ومن أحط طريق .

والمسافة قصيرة بين هؤلاء وبين أولئك الصحفيين المهرة ، وهى تتلخص فى تغير الاسم وتغاير العنوان . أما الوظيفة فهى واحدة على كل حال . . ! ! !

أعرف بعض هؤلاء الصحفيين المهرة الذين يستغلون كل مهارتهم الصحفية فى نيل غرض حقير فى بعض الأوساط وفى سبيل تحقيق هذا الغرض تنشر صفحات كاملة عن نساء ويقال عن هؤلاء النساء المستهترات إنهن نماذج للمرأة المصرية الراقية وأنهن شرفن مصر ورفعن رأسها عاليا . وتكون نتيجة هذا الإفساد كله لمقاييس المجتمع ومعايير الأخلاق بصورة خاصة لا يوجد رجل ذو ضمير يستحل فى سبيلها هدم مجتمع وانحلال أمة .

نحن لا نطلب لهؤلاء العابثين أن يكونوا ملائكة ولا آدميين ولا نريد أن نحد من حياتهم المستهترة فليصنعوا فى حياتهم الشخصية ما يريدون . ولكن نطلب اليهم فقط الا ينشروا الانحطاط ويظهروه فى ثوب الرقى والتقدم لينالوا من وراء انتشاره سهولة الحصول على غاياتهم .

ولكن حتى هذا لا نطمع فى استجابتهم له ، لأنهم كما قلنا يربحون ربحا ماديا من وراء هذا الانحطاط السافر وينالون أغراضا رخيصة ؛ وهم فتيان ورجال لا ضمائر لهم فلم يبق إذن حاجز من الحواجز يجعلهم يوازنون بين أرباحهم الشخصية وبين خسارة المجتمع الكبيرة .

لم يبق إذن الا أن نطمع فى حزم السلطات ونخوتها ، ولحسن الحظ — فى هذه المرة فقط — أن هناك رقابة صحفية تستطيع — اذا كانت هناك خطة معينة للسلطات القائمة على آداب المجتمع وأخلاقه — أن تقف هذه الصحف العابثة عند حد ، فتقف تيار الانحلال الذى تهدد به كيان الشعب المسكين .

(٢)

من بين الموضوعات الفارغة التى تلهى بها هذه الصحف قراءها الفارغين وقارئاتها الفارغات : موضوع " النساء الفارسات " والذى يرى عددا من الصحائف يشغل بصور هؤلاء الفارسات وتصريحاتهن (أى والله !) وتصريحات بعض الرجال عنهن ، يخيل إليه أن هناك حدثا هاما يوشك أن يقع أو وقع فعلا ! فيا للتفاهة !

واحد يقول : إن المرأة المصرية قد برهنت بهذا على رقيها وجدارتها بأن تفاخر أختها الغربية . وواحد يقول : إن أول الغيث قطر ثم ينهمر ، وأن هؤلاء السابقات فى " الفروسية " ستتبعهن أخريات . وبذلك تنهض المرأة المصرية وتأخذ مكانها تحت الشمس ! وواحد يقول شيئا آخر كهذا الكلام الفارغ !

ماذا ؟ ماذا أيها الفارغون التافهون !

كل ما هنالك أن امرأة فارغة أو عدة امرآت فارغات ، لا يجدن فى حياتهن شيئا هاما يصنعنه ، ولديهن المال والخدم ، وليس فى نفوسهن ولا فى عقولهن ثقافة ولا اهتمامات

اجتماعية أو إنسانية ، فأردن أن " يقتلن الوقت " وأن يتسلين تسلية شاذة بالقياس الى جنسهن . تسلية تلفت إليهن أنظار الرجال الفارغين من أمثالهن !

فماذا فى هذا كله مما يهم الصحافة، وماذا فى هذا كله مما يستدعى التنويه بعملهن كما لو كن قد صنعن لهذا الوطن شيئا، وقدمن لهذا المجتمع خدمة ؟ إن هو إلا العبث الفارغ السخيف !

أفهم أن تتحدث هذه الصحف عن فتيات نجحن فى حياتهن العلمية أو العملية، أو نساء قمن بخدمات وطنية أو اجتماعية ، أما أن تخصص الصفحة تلو الصفحة لنشر صورة امرأة تركب حصانا أو تصطاد، وتتحدث عنها كأنها "جان دارك" فهو شيء لا أفهمه ولا يفهمه رجل جاد له فى الحياة أهداف أكثر من التسلية والانبساط !

ومن بين الموضوعات الفارغة التى تحفل بها هذه الصحف العابثة مسألة كمسألة قبول الفتيات فى الكلية الحربية . يا سلام ! لكأننا قد صنعنا شيئا بشبابنا فى الخدمة الحربية ولكأننا فى حرب تلقى فيها البلاد بكل قواتها، فلم يبق إلا أن نبحث فى الاستعانة بجهود الفتيات !

والمسألة كما أفهمها من عقلية هؤلاء الفارغين أنه راق لأحدهم أن يتصور فتاة تلبس الملابس العسكرية، وإذا كان هذا يروق حضرته فلم لا تقبل الكلية الحربية فتيات يستطيع هذا الفتى فى هذه الصحيفة أن يراهن وأن يرسم صورتهن وأن يتعرف إليهن عن هذا الطريق !

أى والله ! لا تعدو المسألة مثل هذا الغرض الصغير، وفى سبيله تراق صفحة أو صفحتان أو عدة صفحات ، لنشر هراء سخيف حول موضوع سخيف !

وهكذا وهكذا من أمثال هذه الموضوعات التى تهم النساء الفارغات والرجال الفارغين والفتيان العابثين. والجمهور يقرأ ويقرأ، وتتحول اهتماماته من المشاكل الاجتماعية والانسانية التى تشغل بال العالم، ومن التيارات الفكرية والفنية التى ترفع مستوى الانسانية ، الى مثل هذه التفاهات الفارغة التى لا تهم إلا الفارغين والفارغات .

ومع ذلك فهذه الموضوعات هى أطهر وأقيم ما تشغل به هذه الصحافة فى القرن العشرين.

(٣)

يفهم بعض الآباء والأمهات فى هذا الجيل أن من واجبهم تجاه بناتهم أن ينشأ هؤلاء البنات مدللات، لأن هذا يكون دليلا على النزعة العصرية والرقى الاجتماعى، ودليلا فى الوقت ذاته على إعزاز هؤلاء البنات وإعلاء قدرهن ، وتعزيز مركزهن !

وتتعدد مظاهر هذا التدليل الفاسد . فيكون منها أن تجاب جميع رغائب البنت طفلة وصبية وفتاة وشابة بلا قيد ولا شرط ولا حساب ، رغائبها فى المأكل والمشرب والملبس والفسحة والمظاهر وكل ما يخطر على نفسها مما تشتهيه فى أوسع الحدود .

ويكون من مظاهر التدليل ألا تسمع كلمة تأديب أو نظرة عقاب أو إشارة عتاب على خطأ ارتكبته فلا تلقى إلا الوجوه الباسمة والكلمات اللينة والمداعبات اللطيفة .

ويكون من هذه المظاهر أن تقدم على إخوتها الذكور فى كل شىء ، فتقدم رغبتها على رغباتهم ، وحاجتها على حاجاتهم ، وملابسها على ملابسهم ، ومظهرها على مظهرهم ، وكلمتها على كلمتهم : بلا تفرقة ولا تميز بين الواجب وغير الواجب فى جميع هذه الشؤون .

ويكون منها أن تحس بأن كل من حولها يعنون بها فى حين لا تعنى هى بأحد . فالجميع مطالبون أن يراعوا شعورها ويوفروا لها رغائها وهى ليست مطالبة بشىء من هذا القبيل .

ثم تصل هذه الشابة إلى بيت الزوجية ، وقد اعتادت ألا تمنع لها رغبة من الرغبات وألا تلتقى بمشكلة من المشكلات ، وألا تكلف شيئا من الواجبات ، وألا تسمع إلا لين الكلمات ، وألا تعلو كلمة على كلمتها لرجل من الرجال . حتى والدها كان يجيب جميع رغباتها بلا إبطاء !

والحياة الزوجية — حتى فى خير حالاتها — لا يمكن أن تحقق هذا كله . لا يمكن أن تحقق جميع رغبات الزوجة ونزواتها ؛ ولا يمكن أن تخلو من المشاكل المعقدة أو اليسيرة ، ولا يمكن أن يلغى فيها الزوج شخصيته لتملى عليه الزوجة ما يعن لها من رغبات ونزوات .

وهنا يقع الاصطدام . الاصطدام بين شابة مدللة لا ترد لها مشيئة ولا تحتمل المشاكل العائلية لأنها لم تصادفها فى بيت أبيها ، وبين شاب لا يصبر على هذه الحال ، ولا يستطيع — حتى لو أراد — أن يحقق للزوجة المدللة جميع الرغبات .

كثير من البيوت الحديثة يتحطم على هذه الصخرة . وكثير من الأعشاش الجميلة يتناثر من جراء هذا الاصطدام ، ولا لوم على الفتاة ولا على الفتى . إنما اللوم على أولئك الآباء والأمهات الذين لم يعودوا بناتهم أن هناك محظورات وأن جميع الرغبات لا تجاب ولو كان فى الاستطاعة إجابتها لتتعود النفس على شىء من الحرمان وتتكون لها إرادة تعصمها مما هو أخطر عند ما تواجه تيار الحياة .

أعرف كثيرا من البيوت الزوجية فيها زوجات فاضلات الخلق طيبات القلب ، ولكنهن يفشلن فى حياتهن الزوجية لأنهن نشأن مدللات هذا التدليل الفاسد . والحياة ، عادة أكثر منها إرادة ، فهن يردن أن يحيين حياة طيبة ولكنهن لم يتعودن هذه الحياة المشتركة ذات التبعات والتضحيات .

أيها الآباء وأيتها الأمهات :

رفقا ببناتكم وبناتكن . رفقا بمستقبلهن الذى يهدده هذا التدليل . فليتعودن بعض الحواجز . وبعض الحرمان ، وليعرفن أنهن مطالبات ببعض الواجبات ، وليتعلمن أن هناك إرادة بجانب إرادتهن هى إرادة الآباء والإخوة وهن آنسات ، وإرادة الأزواج وهن زوجات فذلك خير لهن من تدليل يعقبه شقاء .

«س»